على مائدة الإثم المُباح :

أنا و عرابتي

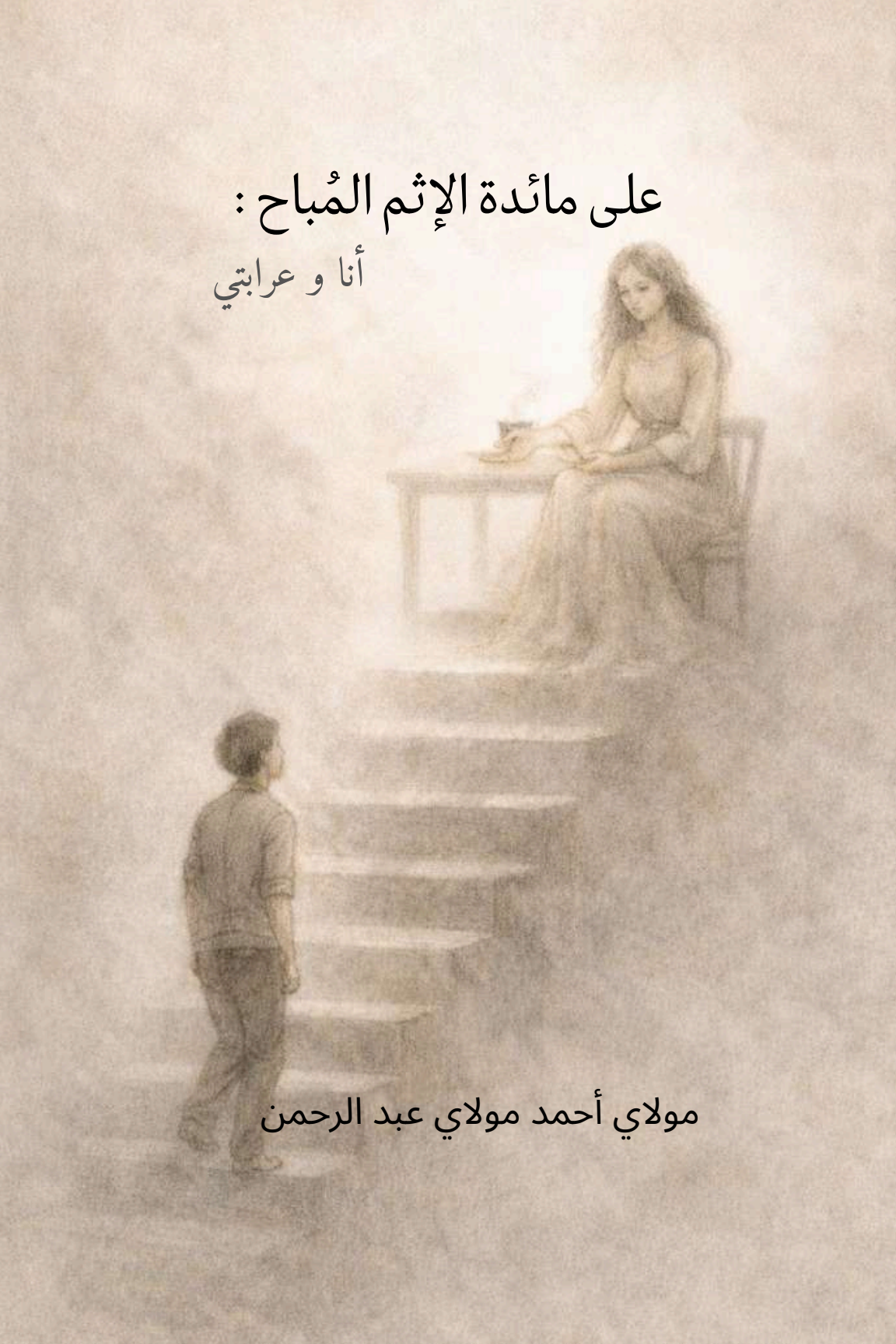

مولاي أحمد مولاي عبد الرحمن

على مائدة الإثم المباحْ

أنا وعرابتي..

على مائدة الإثم المباح
..أنا و عرابتي

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
لا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه، أو نقله بأي شكل أو وسيلة، إلكترونية كانت أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي نظام لاسترجاع المعلومات، دون إذن خطي مسبق من المؤلف، باستثناء الاقتباسات القصيرة لأغراض المراجعة أو النقد مع الإشارة إلى المصدر.
الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رؤية الكاتب الخاصة، ولا تمثّل بالضرورة أي جهة أخرى.
الطبعة الأولى: 2026
مكان النشر: ———

صُمِّم هذا الكتاب ونُسّق بعناية ليُقرأ على مهل.

إهداء..

إلى روح القارئ الذي يجد من نفسه في هذا الكتاب جزءا مكتوبا..

التجلِّي الأول

كانت الشمس على مقربة من مخدع سباتها، و الليل يرتفع رويدا رويدا، و تبتسم السماء في ظله بأنوارها الناصعة، و في غمضة الزمن لاح وجود خفي، و استكانت اللحظة للأبد، تجلت في أفق بنفسجي فتاة في عمر اللانهاية، تجلس في أبهة إلى مائدة من أطايب الكلام، و كلما تناولت عبارة ازدادت بهاء إلى بهائها، شردت إلي منها لفتة فافتر ثغرها عن ضياء أودى بي لضياع لا تحتمل لذته، فاخترقتني النظرة حتى لكأنها ترى ما يجول في أكواني الداخلية، ثم أخذت ترشقني بالحروف بدلال يتجنى على صبري، فبدأت أسكب كل ما فاض من شعوري على الحروف، لتستحيل سلما شفافا يرى من نفاذه جمال الوجود، و أشارت إلي و في عينيها بريق الغواية، و في دلالها عذوبة الغنج، أشارت أن تعال، فغبت في طريقي إليها، و كل سلمة تهبني للتي بعدها بلذة غامرة، حتى وجدتني أمام إشراقتها البهيجة، و دعتني للجلوس في حضرتها، و غمرني صوتها المنساب من خلجاتي حتى استحلت أنهارا من السعادة، و غرقت في لجة الطمأنينة، قالت و يا لذة ماقالت!:

من اليوم أنت مريدي، كلما ضقت بالشعور فارتدي الجموح إلي، و كل حروفي طوع فيضك، فاعجن منها أطايب القول و بلغني ما نضج، من اليوم أنا عرابتك

و من حينها و أنا درويش مخلص الود، و كلما غلا وجداني هرعت إليها لأنكشف.

غيبة الذات:

المنادمة الأولى

تهللت بالخير يا نعيمي المشتعل.. كيف الصباح يا عرابتي..

صباح التشظي يا مريدي العزيز، ما وراءك ؟

أزف اليوم إليك تباشير حزني السعيد، و أكتب من دواخلي لأطلعك على مكنونات التمنيات من نفسي المَخفْية، فاطلعي ما أحببت على العالم المتواري في حناياي منذ وعيت حاجتي للحب، تدثري ما شئت بوشاح الحلم الدافئ، أنا هنا لأنكشف، فكوني هنا لتشهدي انكشافي..

أشهيتني للمنادمة، هاتِ ما عندك

إذا، إليك البداية، في إحدى صباحات الشتاء ولد الحنين، و استقبل الفكر جنين عشق لأنثى تخلقت من محاسن السراب..

و بعد؟

ثم بدأ جانب من الطفل داخلي ينضج، جانب واحد فقط، جانب كمال نضجه في طفولته التي لا تكبر، أتعرفين معنى أن يولد حلم الحب في حياة طفل، لقد استبقت الزمن، و تعطلت من حينها بوصلة المنطق، توقف الحب عند فكرته الخيالية، و تشبثت بوليدة قلبي حتى النخاع، تربينا معا، و لك أن تتخلي كيف يترعرع شخص بجانب فكرة، كيف يعيش اثنين أحدهما نافذ في الآخر، و الآخر نافذ في نفسه لأجل الأول، لقد عشت داخلي طوال سنين العمر، ربما لهذا لم أعش كما ينبغي، لقد ألفت السراب حتى بت أستغرب أن توجد في حياتي حقيقة غيره، أتدركين صعوبة ذلك؟ عشقت وهما لا مجال أن يكون..

يقال يا مريدي إن في حياة الرجل امرأة لا يمكن أن ينساها، تعلق في ذهنه بتشبث مصيري، فيعجز أن يجتثها من مخزون ماضيه الأغلى ثمنا، فتبقى بضاعة فكره الرابحة مدى العمر، و يزداد عليها الطلب كما يزداد لها العرض في شريط الذكريات، هذه المرأة هي حبه الحقيقي، و غالبا تكون حبه الممنوع من التوثيق، الأكثر فشلا و يأسا و سعادة من بين كل تجاربه.

يقال هذا، و لكن هل سمعتِ يوما بحب يفعل نفس الأفاعيل دون أن يكون تجربة معاشة؟ حب يستمد ثباته من سرابيته، و يتقوى بتجارب كلها خيط أمنية مرهونة بموقف أو خاطرة، يتلوى به المجرب في نزوات لا تكف عن التقلب كمزاج السكير، يفرح و يغضب و يحزن و يضحك، و ينتهي به المطاف بالنظر إلى علياء الكون بوجه مرهق من الانكسار، لتتفلت العبارة من بعد زفرته المتعبة "يارب، أين هي"..

الحب في هذه الحالة لا يكون عشقا شهوانيا مبنيا على سمات خالية من الواقعية فحسب، بل هو نوع من التجرد للبحث عن الذات في تشابكية الأنا و الآخر.

أجل، هو طريقة لتجسيد المبادئ، و محاولة افتراض لها على هيئة ذات مستقلة، الحب هنا هو إشكالية خلقية تفترض أن من نريده ينبغي أن يجسد أحلامنا المحاكة من أخلاقنا، ليناسب مقاس ضمائرنا، فنتمتع به دون اضطرارنا لنحارب في سبيل ألا يتسبب لنا في إحراج. فهل الحب هنا فضيلة..؟

-ربما!!

المنادمة الثانية

عرابتي الطيبة،
هلم لنستقي معا من الإثم المباح، أنا أنم لك و أغتاب مفاتنها، و أنت تسترقين السمع..

العين معبر للدواخل يا مريدي، فكيف بهما عيناها حبيبتُك..؟

عيناها اتساع بلا حدود، تفيضان باللانهاية، يودي الغوص فيهما إلى مزيد من الغوص، لونهما كحقيقة الروح، لا يدرك بالنظرة المجردة، رمشهما كرفرفة الطير، كجناحي عصفور ظريف، دمعهما قريب كنبع فائض، و بعيد كقاع بئر، يسهل أن تبكي و يصعب، الأمر مرهون بالكتف الذي ستبلله.. كتفي.

فكيف نظرتها..؟

نظرتها جملة تعبيرية، خطاب فصيح تروي به قصدا صريحا، كلمات طفولية تتلعثم في طريقها للوصول، و لابد أن تصل وجهتها في النهاية..أن تصل للقلب، تقول كل شيء و أي شيء إذا نظرت، و لكنها لا تحدث كل أحد.. حديثها حكر على الأقربين.. حكر علي..

صوتها..؟

وصلة مباشرة بسراديب النفس، طفولة ناضجة، دلال أنثوي تأتي به الفطرة على غير القصد، انتهاك لحرمة الصمود من مسمع العاشق، من مسمعي.. تغريدة صباحية لا تطولها غلظة النهار، كامل الهدوء في كامل الصخب، و منتهى الدفء في منتهى البرَد، الخليط الأشهى في مسالك الأذن و الروح..

ويحك أيها المريد، فكيف ضحكتها..؟
ضحكتها!!
لا تفسير لها.. و لكن فعلها في النفس قتال..

حركاتها..؟
كضحكتها، رصاصات اغتيال رحيمة

بشرتها..؟
من جنس القمر..

قسماتها..؟
اشتقاق من النور، تبعث على إدمان الروح، و طمأنينة النفس، و شهوة النظر..

قوامها..؟
فتنة.

مشيتها..؟
على استحياء

ثغرها..؟
ضياء مبارك، و انفتاح على سماوات اللهفة، و مبلغ القرار من الرضى.. كل الحسن و كل الحب

فمن هي..؟

لا أعرف، و لكني موقن أنها استثناء، ليس بحسنها فقط، فكثيرات هن الحسناوات، لكنها مختلفة..
هن خفيفات الطموح، يسهل ضغطهن في حاوية واحدة مهما تعددت أهدافهن.. هن فارغات، بلا قضايا..
أما هي فمقاييسها ناضجة، و نظرتها بالغة، و همها حمل أمة.

الثالثة

صباحك دمشقي ..
عرابتي،
أصبحت و الشام تعيد نفث السلام في خلجاتي، و لا أعرف ما سر عشقي لتلك الأرض المباركة، تسري في خلدي منذ نعومة أفكاري، تتدفق كالشذى من كل حدب و صوب، و كل ما أصبحت على يوم صيفي يتنفس السكينة، أو يوم ربيعي يتنفس الحب، تنامت ذكراها المبهمة في كلي بأعشق ما يكون، الغريب أني لم أزرها يوما، و لكني بنيتها من وحي القصائد و تفاصيل الحكايات، تبلغت منها ذروة التعلق حتى بات حلمي أن أنتمي إليها و تنتمي إلي، و كثيرا ما يخيل إلي أني لن أستطيع أن أعشق خارج مساحة العناق من الشام، تمثل الشام في حياتي الحب و السلام، و توحي إلي بالطمأنينة و الإخلاص، و إن سألتيني يا عرابتي لماذا، فسأقول أني أجهل ذلك، و أنا في حيرة منه، إنها بشكل ما تشبه تلك التي عاشت عمري و جهلت شكلها، تشبه حلمي بالحب، كأنهما حلم انشق لمعنيين في الاستقرار، أرض و فتاة، فما السر وراء هذا الشبه المبالغ؟

الرابعة

منذ متى يا عرابتي لم نزاول إثمنا المباح؟ لابد أنها فترة طويلة لا أحسن عدها، فهلا تعذريني، فالإلهام كما تعلمين لا يستأذن وقته، و لا يحدد جدوله، فيأتي و يرتحل كيف اتفق له، فلا ندين له بولاء و لا يدين لنا بحسن الرفقة، لهذا فرجائي أن تعذريني كلما تعذر علي الحضور لأثرثر بعض ما أشعر.. و شكرا لحسن استماعك هذياني..

طالت الغيبة يا مريدي، و أنا متلهفة لطبق من غيبة الذات، فهاتِ ما عندك

شعوري مضطرب، و أنا الآن على حافة اللحظة، مستباح النميمة لكني لا أعرف من أين أغتاب لك الموقف، شعور ما يدعوني دعوة واهنة لأنصرف إلى الماضي، و شعور أوهن يفتح لي أذرع المسقبل، و أنا بين الوهنين بلا وزن، و هذا الحاضر أخف مني، فأخبريني يا عرابتي أين المنطلق؟

...

لعلي سأحاول أن أستكنه معك حقيقة ما أمر به، ذلك الصدام الذي أوجع مني كل شظية، صدام الزمن، و ربما هذا الشعور الذي ينتابني كل فترة و فترة هو طبيعة ناتجة من صدام الأجيال الذي ينسحق فيه جيلنا بين جيلين، أولهما قد أورثنا أحلامه الفانتازية، و الآخر قد انفجر في وجهنا بأحلامه السريعة، الأول يريد ذات الأحلام، و الثاني ينغرس في الواقع فينبت منه و يزهر في لحظة واحدة، و نحن ننجرف

في كلا الاتجاهين، لا نحسن أن نستقر مع أحدهما، و لا أن نتقوقع ساكنين، فإلى أين تقودنا هذه الذبذبة؟ مساكين جدا نحن، نكتة لا تبعث على الضحك بقدر ما توحي بالشفقة، فهل نقاتل لننبعث من هذا الركام الذي خلفته حربنا الداخلية؟ هل نستكين للتبعية فنذوب في الذوات الأخرى مفككين تركيبتنا الخالصة؟ و لكن، من نقاتل؟ و لمن نستكين؟ و أين نذوب؟ ثم، ما هي حقيقتنا التي ستذوب في حقائق الآخرين؟

...

نحن يا عرابتي معبر زمني، تنتقل عبرنا آهات قديمة يستقر فينا صداها، و تتعلق بنا طفرة ساخرة تسحب معها انتباهة بكآبة شرهة، نحن التجسيد الأمثل لنظرية "الأسد الهجين". و هي نظرية بالشخصية المركبة، الشخصية التي تحظى بالجموح الكلي، و لكنه جموح تقيده أغلال من بقية أخلاق و تقية، أو خيط من التسامي و الترفع، الأسد الهجين هو شخص من شخوص، أو ذات تتحدث داخلها ذوات كثيرة، الأمر أشبه بأن تكون رواية متعددة الأصوات، يتحدث فيها الأب و الجد في جانب، و الأخ الصغير و جيله في الجانب الآخر، و كل الأصوات تناقش بضمير الأنا، كلهم شخصيات رئيسية تملي آراءها و تفرض مبادئها، الجد ينقش أخلاقه، و الحفيد ينحت آراءه. يتجاذبونه كلعبة شد حبل أبدية، لا ترسو على فائز و لا يمل لاعبوها، و بين الأطراف يتدحرج هذا الجيل المسكين حتى يستوي في هجانته، ليصبح تركيبة خليط.

أخبريني يا عرابتي، كيف يمكن إبصار مستقبلنا؟.. ثم أخبريني من نحن؟

الخامسة

مساء الثرثرة..

مريدي العزيز، بأي طبق جئتني اليوم، بماذا ستغذي فضولي؟

لاشيء يعتريني لأقوله، و أنا أحتاج أن أقول شيئا، أن أتكلم عن أشيائي التي لم تكن، أتعرفين يا عرابتي ما أحتاج إليه حقا؟ أحتاج أن أبتعد، عن الناس و المكان، و عني و عن كل شيء أعرفه، أحتاج أن أبدأ من حيث لم أكن يوما. أتعلمين! في أعماقي توجد أناَ ليستني، و هي أنايَ لا شك، تتوارى في أعماقي و لا تنفك تطالبني بي، كلما قمعتها تلح بإصرار أن تكون، أن تتجلى، أحتاج لأبتكر لها عالما يليق بها ثم أتلاشى في بعد من أبعاد نفسي الدفينة، و أفسح المجال لحقيقة ترفض الذبول، لابد أن أتقلب على وجه العملة الآخر.
هل هو أمر شائع سيدتي العرابة أن نتكون من عدة ذوات، أن نضطر لقمع ذات حتى تتجلى الأخرى، أن نكون أكثر من شخص في آن واحد؟

أظن ذلك..

توجد دائما حياة استلمناها دون مطلب، و توجد حياة أخرى على الضفة المجاورة للحاضر تطالبنا أن نعيشها، و ربما نطالبها أن تعيشنا، كأننا نعيش كابوسا نحاول الهرب منه إلى حلم، و ليس شرطا أن نكره هذا الكابوس، بل ربما نحبه، و لكننا نعشق ذلك الحلم أكثر..

كأنها حالة من عدم الرضى..

لا أعتقد، و لكنه شكل من أشكال الطموح، أو الفضول لتجربة شيء غير متاح في اللحظة، ربما محاولة استباق لمستقبل كأننا موقنون أنه قادم، أو ربما نخشى أن يتجاوزنا هذا المستقبل و نتجاوزه، فنصر أن نستدعيه و لو بلحظات حالمة نضع فيها جهدنا الشعوري ما أمكن، و لكن السؤال المهم: ماذا سيحدث إذا بلغنا هذه الغاية، و جربنا ضفة الحياة الاخرى؟ أخشى أننا سنملّها، أو نشتاق للرجوع، و ربما سنلمح ضفة جديدة سنأمل أن نعيشها أيضا، و بهذا لن نسقر على حال، و ينتهي بنا المطاف نبحث عن السكينة و قد ضيعنا دونها العمر.

السادسة

تُراها تعبث بي تلك الجميلة؟ تومض كحلم يخجل أن ينكشف، تتهادى في عالم لا أراه إلا غيبا في أطلال التمني، كأنها حياة قد عشتها في زمن غابر، زمن ينتعش بزهو من السعادة لا ينجلي صباحه، كأنها علقت في زمن لا تطوله يد حاضري، في بعد لا تستوعبه لحظتي الراهنة، هي حلم معلق في بهو كوني يسبح في ملكوت شاعري، فمن تكون هي؟ من المقبلة علي بكلي، الهاربة مني بكلها؟ فسري لي يا عرابتي أي خبل هذا الذي اعتراني؟

لا أنكر أني أحب هذا، هذا الطواف بأرض ساكنتها هم أحاسيس تخلقت من طينة اندهاشي، كل شيء حيث هي يبقي مشدوها في وله لا يكف و لا يتعظ، أراها في ألف مشهد و لا أملُّ تغيير قنوات العمر، و العمر لحظة تنبثق عالما من خارج الزمن، عالم يتحرك بمكيال الخلود، أراها كما هي، فتاة عشرينية، كأنها ولدت بنضجها الخلاب، و لكنها لا تخلو من طفولة مغرية باستراق النظر، كلامها الشارد عن معقول الفهم يجتذب أساريري من أعمق انتهاجها، تبتكرني تلك الومضة خلقا لا يأفل نجمه، تبتاعني بين العوالم بدقات قلبي، و لا تمل أن تشتريني بخفقة شرياني، و الركون إليها صار إدمانا لا سلطة تلغيني من قوانينه، و رغم كل ذلك لازلت لا أفهم، من تلك الساكنتي؟ و أين أسكنها، أقصد أين تسكن حقيقتها؟

أكره أن ألهث خلف مجاز لا مناص لي من التخبط فيه.

تكره!!

لا أقصد أني أكره، أنا فقط أغتاظ أحيانا، لا أشعر أنها تنصفني بدورانها بي في متاهة كونية لا تقبل ثباتا على أرض، أحتاج أن أجتر عالمها إلى عالمي، أن أجتذب حياتها لتمتزج بحياتي، أتمنى يا عرابتي أنك تستوعبين ما أعايشه من ألم في حضرة الشوق الذي يغرقني في لجته، و الأدهى أني أجهل لمن أشتاق حقا.. من تكون؟ طيفها يلف أنفاس حلمي، و ينثر على قلبي بذورا هي زهرتها، أشعرها في كل نفس يهبط و يعلو من صدري، و لكنها تتوارى كعلم الغيب، تختفي بين ثناياي معلنة هروبها الأبدي من عيني، من يدي، تلك الظلومة تعيشني بمقدار عمر و تتأبى أن أعيشها للحظة.

الخيال شهي..

بالتأكيد هذه حقيقة لا يختلف اثنين عليها، شهي بأحزانه و أفراحه، و لكنه قضمات قد توجع الواقع إن استكثرنا منها، وجود هذا الكم من التعاطي بمقدار يفقدنا انتماءنا الواقعي يربك حياتنا بشدة، يوغلنا في التعب، و هكذا يا عرابتي فإني بقدرما أستطيب التفكير فيها فأنا بأمس الحاجة أن ألتقيها من قريب، وجودها بالجوار لا شك سيمنحني السكينة المفقودة، و يرسو بي على بر آمن، الحرب الطاحنة داخلي بين أن أريد و أن أتمنى ستضع أوزارها أخيرا، و سينبلج من ليلي ضياء سعد هنيء، أتعلمين! كثيرا ما أحلم بالمواقف التي تجمع شتاتنا بطريقة لا

تخلو من رومامسية عفوية، مرة أراها تدخل من باب المقهى كما تدخل الآن على بالي، بتلك الدلالات التي لا تترك شبهة أنها ليست هي، بالطفولة الوديعة التي تنبعث من مجمل تعابيرها، بالنضج الرزين في كلماتها المبعثرة، ها هي تشرب فنجان قهوتها و تشرد بفكرها في فراغ لا يدركه سواها، سوانا، انظري يا عرابتي، ها هي تلتف عفوا نحوي، تلتقي عيوننا، ننصهر في اللحظة، تتحدث دواخلنا بما يجول في عقلينا، شيء ما يحدث، شعور ما يولد، لا، إنه لا يولد، بل يجد انعكاسه، اللوحة تكتمل بنصفيها، تدعونا اللحظة أن نقول شيئا، نتحرك بلا وعي نحو بعضنا، تقولها، أقولها، ننطقها معا؛ "اشتقت كثيرا إليكْ" أمد يدي، تمد يدها، و ها هي، ها أنا، إنها، إني، هنا، إنها.. إنها سراب، و أستفيق من اللحظة، و أغط في غيرها، و أراها الآن بوشاح أخضر، ينضر من تحته قدها الناعم، و تشرق من هناك نظرتها الناعسة، وجنتاها تغمز في أفقي نزوة الحياة، فتهيم بي أشواق الرجولة، تجتاحني أنوثة خطوها، بل أنوثتها الضاحكة من أصابعها الصغيرة، لماذا أشعر الآن أن أصابع المرأة هي مقياس الأنثوية الدقيق، تيرموميترها الصادق الحرارة، حركات تلك الأصابع الدوارة في تلويحة رشيقة، رقصاتها مع تيار النسيم في الحديقة يبعثني من مرقد مختلف، أم يدخلني في سبات حي، هل نحن حقا في حديقة، لا لم نعد، الأفق يتسع بنا و الأرض تزداد رحابة، نحن الآن في جنة تطفو، السماء تلتحف بليلها البهي، النجوم تلبس ألوانا بلا عدد، الرياح تجدد رقصها مع الأشجار، و الطيور تبتدع لحنا أشهى من الوصف، و ها هي تقبل علي،

تهاوى شالها، دخل في رقصة الريح، و ها هي تنبثق منه إلي، ها هي على مقربة من يدي، من شفتي، من حضني، ها هي ذي، ها...، ها هي تتلاشى، كل شيء يتلاشى، و أعود للحظة البدء خالي الوفاض، لا شيء في الواقع بعدُ يُشتهى، و الخيال جمال لا يدرك.

و هل من المجدي أن تواصل انغماسك في هذا الخيال؟

و كأن الأمر بيدي أيتها العرابة، الخيال مادة الحياة الخام، مخدر ملكوتي، الإدمان عليه ليس بالأمر الهين، ربما قد يتعافى إنسان من إدمانات خارجية كالكوكايين، رغم الصعوبة التي تعتري ذلك، و لكننا حينها نطرد مادة خارجية من أجسامنا، فالأمر هنا مقبول بالمنطق، و لكنه مختلف حين ندمن على دواخلنا، فنحن الإدمان و المدمن في الوقت ذاته، أخبريني إذن كيف يتعافى المرء من نفسه! الطريقة الوحيدة لننفصل عن خيالاتنا هي أن نقطع النفس الذي يبقينا أحياء، و من الجرم أن نموت هكذا، و من المحال أن نحيا بخيال منطفئ، الوردة يا عرابتي لا تستقيم لها حياة بلا رحيق، و الرحيق هو حلم الوردة بالعسل، لكنه يحتاج نحلة تقبل لتحقيقه، فأين نحلتي الآن؟
حسنا! هذه فلسفة معتمة و ثقيلة، أوففف.. كيف يمكنني النظر إلى الحياة بهذا التعقد المريع، الحياة أبسط من هذه النظريات التشاؤمية، أليس كذلك؟

- امم.. لعله هاجس الحب و الرغبة في خلجاتك يوقظ فيك شيئا مختلفا من الحياة، لكن لعلك أيضا تنغمس في اتجاه من الخيال و اللامنطق يضعف فيك الإرادة، فهل لاتزال حقا ترى أنك تشعر بالحياة؟

الحب و الرغبة.. الحلم و الطموح، هذا يا عرابتي وقود جيد للإرادة، و الخيال هو نواة البعث و التشغيل، أما المثابرة و الإصرار و السعي، فهذه مقومات إرادة قوية للبقاء، و الحياة ببساطة هي هذه العناصر تتفاعل مع بعضها لتعطينا نمطا وجوديا ممتلئا بالحركة، أووووه! أنا أتفلسف من جديد..

دعينا من هذا الآن، لنتفق أن نتحدث بدون تعقيد، أريد حديثا سلسا و صادقا، أن أكون طوع قلبي قدر ما أمكن، قد يعوزني أن أحسن قولا في ظرفي هذا، ربما لا تسعفني العبارات، و أذرع الشتات تمعن في احتضاني، فما الذي أريد على كل حال؟ هل هو الحب الذي أكثر الكلام عنه، و لا أحسن الثرثرة إلا بين جنباته؟ أم هو الوصول إلى قمة امتيازاتي المرغوبة؟ إلى ماذا أطمح في اللحظة لأستند عليه في سبيل التعبير؟ صدقيني يا عرابتي يعوزني أن أعرف ما أريد التكلم عنه، تتخبط في ذهني كل الرغبات تتسابق لتتسلق الحروف، و لكن الموجة الشعورية تعصف بكل مرتكز لتبقيني ضيفا على تيه بلا أرض.

المنادمة السابعة:

الخلاص

و تهب ريح من تلقاء ليلة ربيعية، فتوقظ نواعس الأحلام، و تهيج مهج الأمنيات، و تنبعث الطفولة داخلي، ألذة هذه يا عرابتي أم ألم مرواغ؟ أيا يكن فإنني منتشٍ حد السعادة المفرطة، أحبها، لا يجوز أن أقول غير هذا في حضرة الجموح الذي يجتاحني، أريدها، لا يصح أن أصرح بغير هذا في مهب الرغبة الجارفة، أحتاجها، لا ينبغي أن أنكر مثل هذا في مقتبل الإصرار الذي أراودها به، و لكنها لا تأتي، بل تأتي، و تأتي بمطلق الحزن الذي غلف العالم، بمنتهى الخيبة التي مزقت كرامة البشرية، تأتي مبحرة على زورق من الغبار يطفو فوق عبرة تكابر زلازل الطغيان، ها هي ذي تنبثق من أفق مقدسي، و تجر أحشاء غزة نحوي، ها هي ترمقني بعتاب لا يخلو من الحب، و يحدث أن يقتلنا الحب الذي نرتجي منه الحياة، إنه يقتلنا بالعشم أثناء العجز، أأخبرها أني أعجز من أن أدفع الموت عن أولئك الأشقة، أأعتذر لها أن صدري أضيق من أن يظلل رؤوس الصغار دون القنابل، وجسمي أهزل من أن يحمل الشجاعة في ساحة الدفاع، كيف أبرر لها جبني، أيمكن أن في التبرير معنى يشفع لي عندها، يشفع لي عندي.. لا أملك أن أقول مثل ذلك، لا أملك إلا أن أنظر مفجوعا بأحزاني، مرجوما بلعنات الأيدي الممدودة نحوي، موصوما بالعار الأحمر، و غصة الخزي توشك أن تهلك كياني، كيف لبعضي أن يبحث عن الحب بينما يبحث بعضي الآخر عن الحياة، لوهلة لم أعد أتحمل ثقل حلمي الذي فقد براءته في معترك الضمير، ماذا يعني أن أنصرف إلى أخيلة وردية، و أنظار العالم تنصرف إلى أشلاء إخوتي و خراب أرضهم

لكم وددت حينها أني عشقت السلاح، ما أحوجني لقلب فدائي و طموح بطولي يحملاني على المواجهة، و لكني ههنا ممسوس بعاري مسا لا رقية له، فياوجعي!
حرريني منك بالله يا ولهي، و تحرري مني و انتهجي غيري، فما أنا بالبطل الذي أنت له، ولا أنت بالأمانة التي يجوز لي حق حملها، فدعينا من هذا العقد الذي نتمزق به كلينا، دعينا من هذا الحب.

الدمْعة..

مساحة كافية للغوص.

التشظِّي..

أنا مبهم الشعور، تختزلني خرافة حب في سطرين من حيرة و ارتباك، و أصطف في طابور طويل ينتهي إلى هاوية الذات، و التساؤل لا يمتلك شكلا لأحتفظ له باستقرار، أقلب كفا على جبهة متحيزا إلى سآمتي من الوضوح الغائب في الشتات، دليني علي يا عرابتي..

- للأس يا مريدي، أرى في تفاصيل تيهك عروقا سريالية، فاسكب ضلالك في كؤوسي و نادمني جنونك

من أين المبتدأ ؟

- من حيث تشعر

و أنا قشةٌ في بحر

أريد الخضوع للدهر البهيجِ
و انتهاج قوام الحقيقة بالأثيريات المتاحةِ
ما وراء الموت حقيقةٌ
و أنا قشة في بحرٍ
تلوكني الذكريات بحمق شديدٍ
تتوارى بذكراي الأنجم السحاقاتُ
ترتوي بي ذاتي
و لاشيء غير ذاتي..
الكواكب شتى
و أنا كوكب مشتتٌ
شظاياي ارتكاز مميتٌ
و لا يموت سواي..

جرَّدوني مني..

الجريدة تحكي..
و ما قول الجريدة عني؟
بكاء مسموع و الحركة مقموعة بالأولياتِ
جرَّدوني مني
و بقايا ذكراي ممسوسهْ
أقولْ:
رُدوا علي ذاتي
لا تموهوا حقيقة ملموسهْ
لا تكتبوني بحبر مخادعٍ
لا تلطخوني بعبير لا يستقيم و ضميري
هبت النسائم تبكي خفوتي و طيفي في المدى يفتقد انتظارهْ
يريد امتدادي بحب خالصٍ
و أنا في الحقيقة مغموس بكذبٍ
من أنا؟
جراد منتشرٌ
لا تبلغني همهمات الناظرين إلي برجاءٍ
أنا شتات مقززٌ
تحنيط مراوغٌ
و جوقة حزن بابليةٍ
أنا انكسار مضغوظ
و ذرات هبل من الطراز المغلوظ

دلوني على ما تبقى مني لألملمهُ
لأجمع فتات الضمير المنسيّ
لأبقى على اتصال بالرمق الأخيرِ
دلوني على موتة مسالمةٍ
على النهاية اللامشؤومةِ

البُكاء

تاريخ بطيء الحركةِ
ينجرّ عنه بعد متسارع من الألم النازيّ
الفضاء الحلزوني في الأفق الوردي يمضغ اللمسة الأخيرة للإنسانِ
و يفتح صندوق التواجد في صور رتيبةٍ
يجعل الابتسامة كئيبةً
و الكآبة تكره أنياب الوديعينْ

الحقيقة جوهرة تلبس بشرة الأكاذيب

ثلاثة أنصاف أفكارنا إيهام بالحزنِ
و النصف السالب اغتراب حتى أجل غير معلومٍ
و الحقيقة جوهرة تلبس بشرة الأكاذيبِ
و تضع في بهو الفضاء المهيمن مغازل النسيانِ
تستهين بالضياع حتى يلتهم نواتها..
نواتنا..
و الضوضاء اعتبار يتشيع من معالم التيهْ
ينفض الناصية الممتعضة عن غبار الكونِ
و يستبعد المداءات الشافية للحنينْ

الزهرة ترتجف..

الزهرة ترتجفُ..
و كف النهار تستلم الليل و تسلمهُ
دوران لا يعتريه الرجوعْ
و للرجوع ضرورة لهذه الزهرة المسكينةِ
و بقايا الورد ينتابها الحنين الذي لا يجف منبعهُ
و لا تتركه الأيام ليكشف موطن الراحةِ
الشوق رشفة من كأس الحياةِ، و حاجة تغذي أنين التمني
أيتها الزهرة المجبولة على بكائكِ
كفاك اسجداء للشجنْ
الزمن لا يحترم الشعور، و أنت تلتهمين أطنانا من حبوب الشوقْ
و تفككين حزنك المستميت ليحيى داخلك

*****

وردتي الذابلة من شدة النضجِ
ارحمي بقاياي فيكْ
قدري أني تلافيف روحك المكسوة بالأمان المزيفِ
و أبقي على شكل الزيف المرجوْ
تحللي يا وردتي في عمق التربةِ
دعينا ننظر لما بعد الآنْ
لنرى تباشير المستبقل الباسمِ
أيهما أرجى يا وردتي..
أن نولد و نحيا، أم نحيا فنموت؟

السماء الخرساء

سمائي العاجزةُ..
أعرف كم اعتذر الصوت من حنجرتكِ
كم تحاولين الصراخ بحلق مبحوحْ
و يدركني عجزك في ميلي إليكْ
أتذكرين كم اجتمعت بيننا الليالي المقمرةُ
و كم تحدث الكون في أحضان اجتماعنا
ما ذا قالت لك الأرض الخجولةُ، أتذكرين؟
أجل، تذكرين حديثها المتلعثمَ
و لكنك تعجزين عن الكلامِ
فوا أسفي أني ذكرتك بمأساتك
أيتها السماء المهجورة من الآذانِ
أنت حضن يتسع للسعة اللامتناهيةِ
فلا تحزني أنهم لا يسمعونكْ
نجومك المغرورات هن شوك مضيءٌ
أخبريهن أن الضياع الذي تزوجهن في حميمية هو حضنك المدللُ
و أن ضياءهن هو حلمك الثرثار بالنورِ
أخبريهن..
آسف، نسيت أنك خرساءُ
سمائي التائهةُ
كيف لحاضنة التيه أن تتهوهَ؟
كيف..؟
كيف للطريق أن يؤدي لنقيضهْ؟

الليل

يحرص ألا نضلَّ
إنه الليل يرعى ضرورة الوميض في مداه الحالكِ
حارس لساكنات الغفوةِ
يأمل أن يستقي معهن قهوة الصباح المبهمِ
في حوار أبدي من النبض المنسي
يسهر الليل و أحلامنا البلهاء على مائدة سكرهم المباحْ
و ترتوي من جدليتهم أفواه اللانهايةِ
يرتعش الليل و هو يسألُ:
ماذا يبقيكن في صراع البقاءِ، و أنتن أسيرات في فلك الأذهان المتعبةِ، مسروقات من سهوة الواقعِ؟
فتجيب الماكرات بيأس حنونٍ:
نحن الساكنات روح الجمالِ
خفيات عن المدارك الصارخة بأشكال القبحْ
فيضحك الليل من مكرهنَّ:
و ماذا ترجين للإصرار على الكينونة؟
أتعجبكن أحداق الواقعْ؟
فتجبنهُ:
نحن تباشير الواقع المريرةِ
و نحن انكشاف عجزه عن إبصارنا
و يبقى الليل يرعى ما اختبأ من أعين النهارِ
و تبقى أحلامنا تأنس في كف الرجاءِ

يستملن غفوة الليل ليسترقن النظر إلى المقلة التي ترى ما هو كائنٌ
هل أحلامنا خائنةٌ؟
أم أن الليل شهريار لا يقبل أن يشاركه النهار حقيقة ما اختبأ منا فيه..؟

أنفاس الظل..

أنفاس الظل..
ترتيل منتظم للموت الأبيضِ
كأن الغد يلتهم ما سبقته إليه مخالب الأمسْ
و التاريخ جرم تائه في لوحة الحاضرِ
أخبريني يا جوقة النور الضاريةِ، ماذا فعلت بثغرك الظلال البائسةُ؟
أرى ابتسامتك مرهونة بالسوادْ
فمن أغراك بجمال التواري؟
دثريني بالحقيقة أيتها الظلال اللئيمةُ
من علم النور اختلاس النظر على الليل؟
من دل السكينة أن البحر مستورد من المآقي؟
و أن ظل البحر مضيءٌ
أيها البحر المتقاطر من عينيّ، حذاري أن يبتلعك موجكَ
فالخذلان ذو شعبية هذه الأيامْ
و ينتفض البحر في غرورٍ
يستنكر اعتباراتي للكونية المبهمةِ:
"كيف للبحر أن يستعير الخذلانُ عروق أعماقه!"
تمهل أيها البحرْ
فظلك يمضغ النورَ
و ضياؤك يتآكل من العتمةِ
و جوهرك ماء جافٌ
فماذا يبقيك قيد التجبرِ؟
ماذا يبقيني قيد اليقين منك؟

أشعرني في كل هذا الضياع..

امتداد الصفرة الرملية يقص الحكايةَ
هناك حيث لاشيءَ، وقفت أنتظر اكتمال الأشياء الجميلةِ
صندوق الأفق يفتح صفر التكوينِ
تجلت أقلام المصيرْ
أبحث دون كلل عن قلمي
بداية الظل المغتبطِ
رأيت الظل سكرانا بالفجائعِ
و القلم يمضغه و يبصق مصيرهُ
كيف يولد مصير من ظلٍ؟
كيف ولدت أنا هناك؟

*****

أشعرني في كل هذا الضياعِ
أبصرني بقلبي الممزقِ
إنه قلبي الذي رفض أن يتحدث لغة النبضِ
و أصر أن يرتعش في جوفي
و غرقت في جثث الأيامِ
كانت الدماء الباكية تنصبُّ من عين الفضاءِ
و تذرف مصيري الأصفرَ

نسر غزا ظل السماء..

طائرةٌ..
نسر غزا ظل السماءْ..
أنفها الكبير يشق فؤاد الريحِ..
و نحن نضحك من نشوة انتصارنا على الطبيعةِ
اغترت منافعنا اليابسةُ
و كشرت عن جفاف الوردة المسكينةِ
و ماتت قلوب النحلْ
كانت الطبيعة تلهث الرمق الأخيرَ
ليس لأن الطائرة ولدت
بل لأن البشر اكتسبوا معجزة جديدةً
و دغدغو غرورهم أكثرَ
ووسعوا الفجوة بينهم
الطائرةُ..
كانت وديعة حين حملتنا بحميميةٍ، و اقتنصت مسافة الشوق لأجلنا
كانتْ..
لكنها تعلمت كيف تبصق لؤمها..
تعلمت عبادة الملوكِ
لم تكن الريح سعيدةً، لكنها لا تملك أن تعترضَ
فالزمن ينزف من صدرها المعطوبِ
و شريان الحاضر مضطربٌ

ألَمي..

أجتر ألمي..
أحاول دفعه خارج أرطال الحدودِ
خارج نفسي
لكني أقابل قوته المفرطةَ
و يتمسك بي كرجل يلبي نداء حب الوطن.

صوْتي أمْ..؟

الصوت صوتي..
و البوح بوحي..
لكنّ لسانيَ أعزل، فمن أين يبلغني؟
أتراه انعاكسي؟
و هل يعبر الصوت من حناجر المرايا..
أويعرف حقا لهجة الخبايا..

أنّةُ عجزي..

تدوي..
فامتلأت آذان الدنيا بالنحيبْ
راهنت على الحزن فاغترَّ فضولي، سعيت عكس اتجاه الضمير، راهنت لا لشيء إلا لأني أريد اقتطاع التأنيب بأي قسوة كانت، و لأني لا أمتلك العزم أن أكافح، انكفيت، و رحت أغتال شعوري حتى لا أتألم من منظر الإنسانية المشوه، كففت عينيّ لأجتنب التحديق في أشلاء كرامتي المهانة، و لم أفلح لا في اغتيال نبضي، و لا في لملمة عزتي، لم أجد بدا من أن أكون زومبيا حتى النهاية، ثم لم يجدني الخلاص بعد..
فدوت أنَّة عجزي، دوت بكل أركان كوني الفارغ، دوت منذ انتحاري الأخير..
و لا تزال تدوي..

تولَّهْ

فما بعد العذر انتباه،
سيرجمك الوقت في ليلة باردة،
و تقتات من حلمك الأيام الشاردة
فترتوي فيك نواميسك
ستحيا كالمارد في إبريق تقيده ثلاث أمنيات تائهةٍ
و لن تبلغك الأماني فتنال من ضيقك اتساعا..
فتوله!
ليس لك ألا تتوله
سيقان حلمك مغروسة في بؤبؤيها..
و جرمك في كونها مسحوب على قلبهِ
فاعتمر ما عشقت في مدينتها الفاضلةٍ
و بارك طواف روحك ببيتها المغمورِ
و توله في وجلٍ..
فأقدارك مرسومة في كفها المبارك
فتولهْ

تغار

تغار..
فعلام الغمار؟
روحك في كف صغيرٍ
و همك قيد احتضار
و صاحت تقهقه تلك الصغيرة
و تركل حلمي بدون اعتبار
و شقت تلافيف عمري
و سدت شرايين صبري
و جاهدتُ أنصاف فكري
أجدف في كل اتجاه
أراود أي لون انتصار
و مهما زعمت بأني نقي
توارت بعمقي
تهش أساريرِ حزني
ف تخرج بعضي،
و تنهش بعضي
أحاول جهدي
و إن كلَّ جهدي
أقاوم حبا تفشى بنار
أغار..
و لكن علامَ!..علام الغمار؟

الطريق مفعم بك

الطريق مفعم بكْ
مصاب بربو الحنينِ
يسعل ذكراكْ
و ذكراك عثرة تغفو في خطواتي
لا شيء لم تكونيه يا نجمتي
قديسةٌ
و كل الطريق دورعبادةٍ
بائعة هوى تتناثر ههنا
و هذا الطريق يغص من نزواتي
أنت كرامة وليٍّ
شطحة درويشٍ
و أنا الولي الدرويشُ
و هذا الطريق شاهد من آياتي
أنت شريعة عشق بلا فضيلة
ربة حسن ضلّيلٍ
عبق التشظي في زللٍ
و الطريق المسكين موسم اللعناتِ

أنا بينكم لست أنا..

أنا بينكم لست أنا..
خيط ليل ضاع في الليلْ
كلماتكم تميل بي لأضحكَ
جلساتكم تميل بي لأسعدَ
و أنا تعس من كل هذا الميل و الميلْ
تائه في غير نسبةٍ
فرسٌ
أضاع صوت الصهيلْ
أنكرتني نواتي
و أنكرت قوائم الخيلْ

و أحيا من حيث أموت

في قلب الشتا ربيعٌ
في دمع الورد ابتسامٌ
فماذا يمنع أن أرتمي في حضن يتفتقُ؟
أن تحملني متون الشذى
و أن أفوح في الخطا البعيدة للجمالْ
تتنفسني زغاريت الأثيرْ
و أمحي..
كدخان من النور تنفثه السعادة في صدر الكلماتْ
شاعر بلا وجهةٍ
تقلبني أكف اللغة من حسن إلى حسنٍ
و أحيا من حيث أموتُ
في تلك الأرجوحة الكونية يرقص الدورانْ
و أنا أغفو في تأرجح لذيذٍ
من قبو الوجود ولدت من عالمي
تفتقت مع الورد و أمطرت في ظل السحابْ
و حانت لحظتي المجيدة

طنينْ

طنينْ
صوت التروي في أذني المنهكة
صوت الرنين
أذني تخلع سمعها من تعب الإنصات
و لكن الطنين يبقى في رأسي
فيا وجع الحنين
من ذلك الصوت المتعجرف قد تولدت ذرات عالم خفي
و أذعنت أرقب تفاصيل الرنين
لا يوجد ما يخيف مسامعي
و لكن روحي متعبة من نواح الذكريات
من هذا الحزن الفاحش
و من كل هذا الرنين
و العمر يلبس نسيانه في عجل
و لكنها تأبى له السنين
قشور السنوات الخضر
و بقايا بذور السنابل
و الشك الذي يعتمر اليقين

التشظي الأخير

ناصعٌ..
هذا الوجود الأسبقُ
و اللوحة الجميلة في المقتبَلْ
الرسم يمحو صفاءها الوديع
و المحو لا يحتمل
و تبدء نقطة
و تتسع النقطة
و يأتي العالم نقطة نقطة
و يولد الأملْ
و تفقد الصورة نقاء الأوليةِ
تجهض نقاءها من أجل ميلاد الدنيا
ألوان الآخرين تختلط بلوني
و أفقد الوجلْ
النظرة الأولى تفقد نفحة الخلود
لتبصر لون الوجود
لتضمحل أكثر
لتكون أقلْ

عزيزي القارئ الجميل، إن كنت وصلت هنا، فهذا يعني أنك عبرت كل المنادمات، و تخطيت فخاخ التشظي، و بما أنك وصلت يا عزيزي القارئ، فأخبرني عن الرحلة، ماذا أعجبك فيها؟

أرسل ملاحظاتك رجاءً، يهمني جدا أن أسمع

moulahmed3171@gmail.com